**محرك المنظومة القيمية في ظل الاحتلال الإعلامي–مقاربة تحليلية. الأستاذ: جمال زاوي**

**الملخص:**

في هذه المقاربة التحليلية, سيثبت الباحثأن العقل هو محرك المنظومة القيمية للفرد, وهو الأساس الذي تبنى عليه سائر التفضيلات بين القيم والمبادئ والاختيارات, التي تظهر في شكل سلوكيات وتصرفات, كما سيبين الباحث أهمية العقل ودوره في حياة الأفراد, فهو يكتسي أهمية بالغة جعلته محط أنظار, وجعلته مستهدفا من طرف مختلف الوسائل الإعلامية التقليدية والحديثة على حد سواء, مستخدمة في ذلك مختلف الأساليب والاستراتيجيات الهادفة إلى التأثير على هذا الأخير, للتحكم أكثر في الأفراد والسيطرة على توجهاتهم وآرائهم, في حرب ضد محرك المنظومة القيمية أشبه ما تكون بالاحتلال الناعم الذي افرز العديد من العقول المعتلة, والمريضة, والمدمنة, والسطحية... وغيرها, بالإضافةإلى انعكاسات هذهالأخيرة على المنظومة القيمية, التي باتت تتخبط في عدة أزماتقيميةوأخلاقية, تهدد حياة الفرد من جهة, والمجتمع من جهة أخرى.

**الكلمات المفتاحية:**

العقل – القيم – التضليل الإعلامي–الاحتلال الإعلامي.

**Engine of the value systemunder the media inroad – analytical approach**

**Abstract:**

in this analytical approach, the researcher will prove the mind is engine of the value system, and it is thebasis of preference between values,principles and choices, which appear in form of actions and behavior, as the researcher will show the importance of the mind and its role in the live of individuals, because he represents a great importance that made him focus of attention, and made him targeted by traditional and new media using various methods and strategies aimed to effect on the mind, for the good control of individuals and control their attitudes and opinions, in a war against the engine of the value system is like a softinroad, which produced many sick minds, addicted and superficial minds… in addition to the reflections of the latter on the value system, which are floundering in several ethical crises that threaten the individual and society.

**Keywords:**

Mind – Value – Media Misinformation - Media Inroad

**مقدمة**

أصبحتوسائل الإعلام تشغل حيزا كبيرا في حياة الفرد, فهو يستقي منها المعلومات التي يحتاجها في حياته اليومية, ويعتمد عليها في تشكيل مواقفه, وتكوين اتجاهاته, كما تعتبر فضاء خصبا لعرض مختلفالأفكاروالآراء, وكل ذلك لا يسلم من تسريب بعض القيم بطريقة أوبأخرى, تجعل الفرديتأثر بها سواء كان واعيا بذلك أم لا.

فالقيم تعتبر بمثابة الموجه الذي يؤطر حياة الفرد, ويحكم تفكيره, ويحفظ توازنه النفسي, وتشكل شخصيته, كما تعمل على توجيه سلوكياته, وتعديل تصرفاته وفق ما يتماشى وتحقيق الرضا الاجتماعي, والاستقرار والتماسك الذي يقي المجتمع من مختلف الصراعات والتناقضات التي تؤدي إلىإضعافه,وكبح تطوره, وفرملة ازدهاره.

ولما كانت القيم بهذه الأهميةأسالت لعاب الكثيرين للتأثير عليها والتلاعب بها, فلم يجدوا إليها سبيلا ولا طريقا أفضل من ضرب الأساس الذي تقوم عليه, والمحرك الذي يعمل على تشغيلها, والمتمثل في العقل, فهو بمثابة الأداة التي يميز بها بين القبيح والحسن, وهوأساس المفاضلة بين الأشياء, حيث يعتبره الكثير من المختصين أساس القيم والأخلاق, فإذا استطاعت هذه الوسائلالتأثير على عقل الفرد فهي حتما ستتمكن من السيطرة على أفكاره ومعتقداته, ومن ثمة الانتقال إلى توجيه سلوكياته وتصرفاته وفق ما يتماشى والأهداف الخاصة التي وجدت من أجلها هذه الوسائل.

في هذه المقاربة سنسلط الضوء على أهمالتأثيرات التي تسببها وسائل الإعلام على محرك المنظومة القيمية, وذلك بإظهار مختلف الأساليبالمستخدمة للتحكم في العقول, والآليات المعتمدة للسيطرة عليها, وتوجيهها وفق ما يخدم المصالح الخاصة والأهداف التي وضعت من اجلها مثل هذه الوسائل, فهي لا تختلف كثيرا عن بعضها البعض من التقليدية إلى الحديثة... لم يكن اختراعها بريء, ولا هدفها نبيل, فهي تعمل مجتمعة على توجيه العقول والسيطرة على طريقة التفكير, وقولبة الإنسانوتنميطه في ظل التداعيات الراهنة التي تشهدها الساحة الإعلاميةوالثقافية والسياسية والاقتصادية, وهذا يقودنا إلى طرح السؤال المحوري الآتي:

**كيف أثرت وسائل الإعلام التقليدية والحديثة على محرك المنظومة القيمية؟ وما هي أنواع العقول التي أفرزتها هذه الأخيرة؟**

وتنبثق من هذا السؤال المحوري مجموعة من التساؤلات الفرعية التي يمكن إيجازها فيما يلي:

- ما هي الأهمية التي يكتسيها العقل البشري؟ وما الذي جعله محط أنظار الجميع؟

-ما هي الآليات والاستراتيجيات المعتمدة من طرف وسائل الإعلام لتضليل العقل البشري؟

- ما هي أنواع العقول التي أفرزتهاوسائل الإعلام التقليدية والحديثة؟

- كيف تأثرت المنظومة القيمية بعد ضرب محركها؟

وللإجابة على هذه التساؤلات وأخرى، قسم الباحث هذه الدراسة إلى المحاور الآتية:

1. مدخل مفاهيمي.
2. العقل... محرك المنظومة القيمية.
3. عقول... من صنع الاحتلال الإعلامي.

**منهج الدراسة**:

استخدم الباحث في هذه الدراسة **المنهج الوصفي**, وكما هو معلوم أن المنهج الوصفي يحتوي على الكثير من الدراسات, لذا اقتصر الباحث على **الدراسة التحليلية** التي تعتمد على التجريد وربط الأفكار والوقائع مع بعضها البعض, وإجراءإسقاطات على أرض الواقع لاستخلاص النتائج.

**أهمية البحث:**

- إبراز الأهمية التي يمثلها العقل وعلاقته بالمنظومة القيمية.

**-**كشف الاستراتجياتالمعتمدة من طرف وسائل الإعلام التقليدية والحديثة الهادفة إلى تضليل العقل البشري.

- إبرازالتأثيرات الخطيرة الحاصلة على مستوى العقل, والتي أفرزت الكثير من العقول المريضة.

- إبرازالأهداف المضمرة من وراء استهداف محرك المنظومة القيمية.

**مدخل مفاهيمي**

**1- التضليل الإعلامي:**

يقصد به "الاستعمال المقصود بهدف تغليط إدراك الدريئة للواقع, كما يهدف إلى سواء تضليل الخصم أوالتأثير على الرأي العام, أو لجعل الدريئة تستوعب بعض المعتقدات التي كانت ترفضها من قبل, أو تقدم الكذب كحقيقة".

**2- العقل:**

العقل هو العلم الأول الذي يزجر عن القبائح, وكل من كان زاجره أقوى كان أعقل, وقال بعضهم: العقل يمنع صاحبه من الوقوع في القبيح, وهو من قولك عقلت البعير إذا شده ومنعه من أن يثور"[[1]](#endnote-2). وهذا معناه أن العقل هو الذي يمنع صاحبه عن القيم السلبية, ويلجمه عنها, وفي المقابل يحثه على التمسك بالقيم الفاضلة والأخلاق السامية.

"إن محور الفكر السقراطي الذي تبناه المفكرون الإغريقالمتأخرون بتفاوت في الوضوح, يقوم على المماثلة بين الشر واللاعقلاني (L irrationnel), فلا احد يقترف الشر إلا عن جهل, وإنما شرط الفضيلة الأول هو إعمال العقل"[[2]](#endnote-3).

**3- القيم:**

القيموفق معاجم اللغة جمع لكلمة قيمة وهي ثمن الشيء بالتقويم، وهي تحمل معاني ‏متعددة منها القدر أي‏ الثمن والاستقامة، وقد ورد مصطلح الاستقامة والمستقيم في ‏القرآن بمعنى الهداية والطريق المستقيم"[[3]](#endnote-4).

كما أن "(القيمة) واحدة القيم، و(قوم) السلعة تقويما، وأهل مكة يقولون استقام السلعة وهما بمعنى واحد. و(الاستقامة) الاعتدال يقال استقام له الأمر. وقوله تعالى: (فاستقيموا إليه) أي في التوجه إليه دون آلهتهم. وقوم الشيء تقويما فهو قويم أي مستقيم".[[4]](#endnote-5)

وعليه, فان القيم تحمل عدة معاني في اللغة العربية منها: القدر أي قدر الشيء بمعنى قيمته وثمنه, كما تعني الاستقامة أي من تحلى وتمسك بها فإنها تهديه إلى الطريق المستقيم, وهي ما يستدل به على أهمية الأشياء والسلوكيات إن كانت ذات شأن أم لا.

أما اصطلاحا فقد عرفها **ريمون بودون** بأنها: "تعبير عن المبادئ العامة، والاتجاهات الأساسية، وعن التفضيلات الجماعية، ففي كل مجتمع يتم تحديد الأهداف انطلاقا من المرغوب فيه، ويظهر في المثل الجماعية، وهذه القيم الموجهة نسقيا تظهر غالبا كمعطيات غير قابلة للتقليص، ونواة ثابتة ومجموعة من المتغيرات المستقلة"[[5]](#endnote-6). أي أنها الأساس الذي يستطيع من خلاله المجتمع تحديد الأشياء والسلوكيات المرغوبة, وتظهر وفق إجماع كلي حول قيمتها وصلاحيتها, ويتم تبنيها من طرف الجماعة.

كما عرفها **كلوكهون** بأنها "تصور أو إدراك واضح أو ضمني ‏يميز الفرد عن الجماعة للمرغوب فيه الذي يؤثر في انتقاء الطرق الممكنة والوسائل ‏وغايات العقل، ويذهب إلى أن القيم هي بمثابة حقائق ثقافية وسيكولوجية من نمط معين ‏يمكن كشفها وتحليلها، ويعني ذلك أن الإنسان يقوم بملاحظة ما يفعله الآخرون وما لا ‏يفعلونه، كما يلاحظ ما يعجز أو لا يرغب الناس في قوله"[[6]](#endnote-7).

**العقل... محرك المنظومة القيمية**

إن (العقل العربي) تحكمه النظرة المعيارية للأشياء, بما في ذلك نظرته إلى العقل نفسه, ونحن نقصد بالنظرة المعيارية ذلك الاتجاه في التفكير الذي يبحث للأشياء عن مكانتها وموقعها في نظام القيم الذي يتخذه ذلك التفكير مرجعا له ومرتكزا, ومن هنا ذلك (الإجماع) في الثقافة العربية على اعتبار العقل أساساللأخلاق, هذا (الإجماع) يؤسسه المعنى اللغوي لكلمة عقل, ابتداء. هذا فضلا عن أن القران دعا العرب إلى استعمال العقل, ليس فقط من اجل استنتاج وجود الله نفسه من خلال مخلوقاته: العالم وظواهره وأشيائه, بل أيضا للتمييز بين الخير والشر, والحسن والقبيح, والحق والباطل"[[7]](#endnote-8).

إن القران الكريم يدعو صراحة إلى الاعتبار, وهو استعمال العقل للعبور من حال جهل إلى حال علم, وهناك آيات كثيرة تنتقد الذين لا يستعملون عقولهم للتمييز للتمييز بين الحق والباطل, بين الخير والشر. من ذلك قوله تعالى في انتقاد التقليد والإعراض عن تحكيم العقل: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه أبائنا, أو لو كان أبائهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون, ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء, صم بكم عمي فهم لا يعقلون) (البقرة 170-171). وقوله في تأنيب المشركين لكونهم لا يميزون بين الحق والباطل بالمعنيين الأخلاقي والمعرفي معا: (لهم قلوب لا يفقهون بها, ولهم أعين لا يبصرون بها, ولهم آذان لا يسمعون بها, أولئككالأنعام بل هم أضل, أولئك هم الغافلون) (الأعراف 179), وواضح أن القلب والعقل هنا بمعنى واحد, ولا يفقهون يفسرها: (الغافلون), والمعنى القيمي واضح في الكلمتين معا"[[8]](#endnote-9).

ومن الأحاديث التي تربط بين العقل والأخلاق حديث جاء فيه: (كرم الرجل دينه, ومروءته عقله, وحسبه خلقه) فجعل المروءة وهي جماع مكارم الأخلاق مرتبطة بالعقل, لا بل جعل العقل أساسا لها, وهناك حديث يقول: (لا يعجبكم إسلام امرئ حتى تعرفوا معقود عقله), وحديث آخر ورد فيه: (العقل نور في القلب, نفرق به بين الحق والباطل, وبالعقل عرف الحلال والحرام, وعرفت شرائع الإسلام ومواقع الإصلاح, وجعله الله نورا في قلوب عباده يهديهم إلى هدى ويصدهم عن ردى)"[[9]](#endnote-10).

اما الأقوالالمأثورة التي تؤكد أن العقل محرك القيم وأساسالأخلاق فكثيرة ومتنوعة, منها أن**عمرو بن العاص** قال: "(ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر, ولكنه من عرف خير الشرين), وقال آخر: (العقل يأمر بالعفاف وبالتقوى واليه يأوي الحلم حين يؤول, فان استطعت فخذ بفضلك فضله, إن العقول يرى لها تفضيل), ويقال: (لا شرف إلا بالعقل), ويلخص قول آخر مجمل المعاني السابقة في العبارة التالية: (إذا عقلك عقلك عما لا يعنيك فأنت عاقل), والاهم من ذلك... هذا القول: (لا مروءة لمن لا عقل له). ذلك لأننا اخترنا المروءة كتقنية مركزية في الموروث العربي (الخلص) كله... فإذا كان نظام القيم الخاص بهذا الموروث يتمحور كله حول (المروءة), وكان (لا مروءة لمن لا عقل له), فان ذلك يعني أن لا أخلاق لمن لا عقل له, وبالتالي فالعقل أساسالأخلاق"[[10]](#endnote-11). وعليه, فانه لا قيم لمن لا عقل له, لأنه فقد المحرك الذي يعمل على المفاضلة بين القيم, وفقد الأساس الذي يتم من خلاله التعرف على القيم الايجابية من القيم السلبية, وبالتالي يصعب على الفرد أن يميز الحسن من القبيح, والصواب من الخطأ, والخير من الشر, والفضيلة من الرذيلة, والمعروف من المنكر.

**عقول... من صنع الاحتلالالإعلامي**

**1-العقل المعتل**:

تتسبب وسائل الإعلام في اعتلالات عقلية خطيرة خاصة لدى صغار السن "فهي تتسبب في انقطاع العقل عن التفكير المنطقي، والخمول الذهني، وتعطيل ذكاء الطفل، وإطلاق العنان غير المحدود لخياله، حيث اختلت الموازين عند أطفالنا بسبب ما يتعرضون له من خلال وسائل الإعلام المختلفة وخاصة منها شاشات التلفاز، فيرى الطفل رجلا يطير في الهواء، وينسف الجبال نسفا، ويشق القمر بيده، ليس هذا فحسب بل هو يطلق أشعة من عينه تفعل المعجزات وتدور أحداث قصص الأطفال حول المغامرات وشخصيات خرافية وهمية، ولا تهدف إلى غرس الأخلاق والقيم الصحيحة، وأعظم من هذا كله أنها تغفل وجود الله بالكلية، وذلك عندما يتحكم أبطال الفيلم في الكون ومقدراته، وهذا ما يتعارض مع احد أهم ثوابت امتنا العربية"[[11]](#endnote-12).

**2-العقل المخنث:**

يصاب العقل بهذا الداء جراء تركيز وسائل الإعلام على المواضيع العاطفية التي تخاطب العاطفة وتثير المشاعر والأحاسيس، فيتحول الفرد إلى التفكير العاطفي الذي يرتكز على العاطفة بدل استخدام العقل, ويكثر هذا التفكير (العاطفي) عند النساء.

ومن علامات تخنث العقل طريقة اللباس وحركات الجسم, حيث "لم يكن ذلك حكرا على النساء فقط بل جاء الرجال من الفنانين واخرجوا أنفسهم بإخراج فني مؤنث بدءا من اللباس إلى تسريحة الشعر والى حركة الجسد حتى في اللغة حيث تخنثت اللغة عندهم مع ما في لغة الجسد وحركات اليدين والنظرات والابتسامات مما هي صيغ أنثوية تمثلها الفنانون الشباب في اللقاءات معهم وفي أحاديثهم عن أنفسهم على شاشات التلفزيون"[[12]](#endnote-13).

وهكذا "تتعزز صورة التأنيث عند الشباب كما عند الشابات، وهي صورة مرسومة رسمة ثقافية محكمة، ولن تكون خيارا فرديا وذوقيا بقدر ما ستكون ضرورة ثقافية اجتماعية لأنها مستوحاة عبر الفرض الإعلامي، وكما كانت الصورة المؤنثة مرسومة شعريا في القديم حسب نسق ثقافي مقرر، فان التأنيث يتعرض لرسم ثقافي نسقي يترسخ عبر الصورة ويتم تعميمه حتى يصبح فرضا وقانونا لا يمكن تغافله"[[13]](#endnote-14). وما السلوك إلا انعكاس لنوع العقل وطريقة التفكير, فكل إناء بما فيه ينضح.

إن تخنث العقل وإثارة العاطفة أمر بالغ الخطورة, فهو يساهم في "تحرير التيار الانفعالي والعاطفي العام, والذي لا يستطيع احد أن يتنبأ بصورة يقينية بمساره"[[14]](#endnote-15), وهذا أشبه بثورة تقودها عصابة من المجانين بسبب تغييب العقل.

**3-العقل المسطح:**

تعمل شبكات وسائل الإعلام على تسطيح العقل من خلال المعالجة السطحية للقضايا والمواضيع المهمة, دون التعمق في النقاش والتدقيق في التفاصيل التي تغوص بالعقل إلىأعماق الفكر, وبالتالي تتركه دائما على السطح, وبمرور الوقت يألف العقل هذا السلوك, ويصعب عليه تناول المواضيع والأحداث بتحليل معمق.

وذلك مرده إلى أن معظم المنتوجات الإعلامية بصفة عامة, من مختلف المواد الثقافية "لا تلقي سوى القليل من الضوء على الأسباب الحقيقية, ثم تستعيض عن الاستيضاح العميق لتلك الأسباب بكم كبير من الفعل السطحي"[[15]](#endnote-16).

كما أنها تركز وباختصار على "كل هذا الذي يمكن أن يخلق اهتماما بحب استطلاع بسيط, والذي لا يتطلب أي كفاءة خاصة مسبقا"[[16]](#endnote-17), وبالتالي فان العقل يتعود على التسطيح والتفكير البسيط وبمرور الوقت يتحول إلى عقل سطحي. لان الأحداث المتفرقة تهدف إلى "خلق اهتمام بالغ بمداهنة الغرائز والشهوات الأكثر بدائية (بموضوعات مثل خطف الأطفال والفضائح القادرة على خلق نوع من السخط الجماهيري), بل يمكن أن تؤدي إلى أشكال من التعبئة العاطفية والخيرية تماما أو إلى كل ما هو غريزي لكن عدواني وقريب من الإعدام الرمزي التعسفي"[[17]](#endnote-18).

**4-العقل العاصي:**

"إن المعاصي تفسد العقل, فان للعقل نورا, والمعصية تطفئ نور العقل, ولابد, وإذا طفئ نوره ضعف ونقص. وقال بَعض السلف: ما عصى الله احد حتى يغيب عقله. وهذا ظاهر فانه لو حضر عقله لحجزه عن المعصية, وهو في قبضة الرب تعالى وتحت قهره, وهو مطلع عليه, وفي داره وعلى بساطه, وملائكته شهود عليه ناظرون إليه, وواعظ القران ينهاه, وواعظ الإيمان ينهاه, وواعظ الموت ينهاه, وواعظ النار ينهاه, والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها, فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله والاستخفاف به ذو عقل سليم"[[18]](#endnote-19).

إن نشر المعاصي من فيديوهات فاضحة, وأغاني ماجنة, وصور خادشة, ولقطات مخلة بالحياء, في مختلف وسائل الإعلام, خاصة من طرف أعداء هذه الأمة من الكفار الذين لا يؤمنون أصلا بوجود النار التي ستعذبهم يوم القيامة, ليدعو إلى الشك والريبة, ما هدفهم من وراء إيقاعنا في المعاصي؟ هل هدفهم أن ندخل النار؟ طبعا لا, لأنهم لا يؤمنون بها أصلا. إذن ما هو الهدف من وراء نشر المعاصي؟ إنالإجابة واضحة تماما, فهي متمثلة في إفساد عقولنا وتخريبها وتدميرها حتى تسهل قيادتنا, ويتمكنوا من التحكم فينا, والسيطرة علينا كالحيوانات التي لا عقل لها. فنشر المعاصي ليس للمعصية في حد ذاتها وإنما لمفعولها السحري في إفساد العقول.

حيث أكدت إحدى الدراسات الحديثة أن الآثار السلبية لشبكات التواصل الاجتماعي التي احتلت المرتبة الأولى تمثلت في "التمكن من إجراء علاقات غير شرعية مع الجنس الآخر, والإهمال في الشعائر الدينية مثل: تأخير الصلاة"[[19]](#endnote-20), وهذه النتيجة تدعم الطرح السابق.

**5-العقل الاستهلاكي:**

إن وسائل الإعلام تركز على الترفيه والتسلية والأشياء التافهة من فضائح وجرائم واختلاسات, وأخبار لا تسمن ولا تغني من جوع, وهذا ما يؤدي إلى وأد العقل النقدي لأنه لا يحصل على المعلومات المفيدة التي يحتاجها لممارسة العملية النقدية, وبالتالي يعمل على الاستقبال السلبي للمعلومات, وكما هو معروف في العلوم الطبيعية أن العضو الذي لا يعمل يضمحل, فكذلك العقل الذي لا يعمل يضمحل ويضعف شيئا فشيئا حتى يصبح خاملا عاطلا عن النقد البناء والتفكير الناقد, متحولا بذلك إلى عقل يستهلك كل ما يتعرض له دون أدنى نقد.

كما "أن الجمهور يفقد نتيجة لتركيز وسائل الإعلام على التسلية والترفيه والمواد الخفيفة والإثارة والمواد ذات الطابع الجنسي حقه في الحصول على المعرفة التي تساهم في تطوير قدراته العقلية والثقافية"[[20]](#endnote-21).

كما أن صناعة التسلية والترفيه محملة بالقيم حيث "تضخ صناعة وسائل الاتصال ألوانا مختلفة من التسلية والترفيه, منكرة طوال الوقت وجود أي تأثير فيما وراء الهروب المؤقت من الواقع وحالة الاسترخاء المنتشية"[[21]](#endnote-22). لكن تأثيرها على القيم يفوق كل التوقعات, لأن الفرد يلجأ إلى الترفيه والتسلية بعد الانتهاء من العمل الشاق, والضغوطات اليومية, فيسترخي لمشاهدتها, فالاسترخاء يعتبر من أهم الأساليب لتمرير المعلومات إلى العقل المستهدف, كما أن الشخص المتعب يكون عقله مرهق وبالتالي فانه غير قادر على النقد فيعمد إلى الاستهلاك اللاعقلاني لما يتعرض له من أفكار وقيم, خاصة إذا كانت هذه القيم مضمرة في طابع خيالي, لأن تأثيرها يكون اشد وأقوى على حد قول **اريك بارنو** الذي يرى أن مفهوم الترفيه هو "مفهوم شديد الخطورة, إذ تتمثل الفكرة الأساسية للترفيه في انه لا يتصل من بعيد أو من قريب بالقضايا الجادة للعالم, وإنما هو مجرد شغل أو ملء ساعة من الفراغ, والحقيقة أن هناك إيديولوجية مضمرة بالفعل في كل أنواع القصص الخيالية. فعنصر الخيال يفوق في الأهمية العنصر الواقعي في تشكيل آراء الناس"[[22]](#endnote-23). لأنه يخاطب اللاوعي بطريقة غير مباشرة.

**6-العقل المشتت (الطوفان المعلوماتي):**

الطوفان المعلوماتي هي إستراتيجية تستخدمها الولايات المتحدة الأمريكيةوأوربا الغربية للتعامل مع المعلومات, فهي تعني "إغراق الشعوب بالمعلومات حيث يتم تحميل عقول الناس بالكثير من المعلومات غير المترابطة, وهي في اغلبها معلومات مسلية ذات نوعية منخفضة, وفي الكثير من الأحيان تكون متناقضة, وتعطي الانطباع بأنها موضوعية"[[23]](#endnote-24).

فظاهر هذه الوسائل هو توفير اكبر قدر من المعلومات, وبسرعة فائقة, وفي شتى المجالات, لكن باطنها شيء آخر تماما, فمعظم هذه المعلومات تافهة, وغير صحيحة, ومتناقضة, وصعبة التحليل, وينفي بعضها بعضا, وبالتالي تؤدي إلىالإصابة بالسمنة المعلوماتية التي تضر العقل أكثر مما تفيده, كما تضر السمنة بالجسم, كما أن السرعة في تدفق المعلومات تزيد الطين بلة, حيث تضعف قدرة العقل على الفهم, وتوهن طاقته الاستيعابية, وتشتت تحليله المنطقي, مما يجعل هذا الأخير يقف عاجزا أمام هذا الطوفان المعلوماتي.

يؤكد **دافيس** الأخصائي في أمراض الرمد والعيون, والاختصاصي في البيولوجيا العصبية في جامعة كاليفورنيا أن "وابل المعلومات الشفهية والبصرية والمعلومات المضللة تتسبب في احتمال إحداث تلف دائم ومستمر في أذهاننا"[[24]](#endnote-25). فكثرة المعلومات تعمل على تخريب العقل.

والواقع "أن الرأي القائل أن المجتمع الغني بالمعلومات, والمدعوم بعتاده الآلي الحديث سوف يقضي على أمراضنا الاجتماعية الراهنة هو رأي جائر ومضلل في آن واحد, فهو جائر حين يتصور أن أطفال الأقليات يتغلبون بطريقة سحرية, عندما يواجهون نضد الكمبيوتر, على سنوات الحرمان المتراكمة عبر الأجيال, وهو مضلل ومخادع حين يدع الانشغال بالتكنولوجيا والتقنيات الالكترونية يحجب الدعائم المؤسساتية التي تظل مسئولة عن اتجاه وبؤرة نشاط الاستخدامات الآلية الحديثة"[[25]](#endnote-26).

إن عدم ترابط تلك المعلومات وتناقضها يخل بأحد المبادئ المنهجية للعلم الصالحة للتطبيق فيما يتعلق بالنشاط الإنساني, والمتمثل في "الحتمية البيئية المتعلقة بالاعتراف بالترابط الداخلي, وعندما يتم تجاهل كلية قضية اجتماعية ما, عمدا, وتقدم نقاط متفرقة متعلقة بها بوصفها (معلومات) فان النتائج مضمونة مقدما, وهي في أحسن الأحوال العجز عن الفهم والجهل, وفتور الشعور, واللامبالاة بالنسبة لأغلب الناس"[[26]](#endnote-27).

كما تسعى وسائل الإعلام إلى تشتيت العقل وتشويش التفكير عن طريق التركيز على الأحداث المتفرقة التي يصعب الربط بينها "مخصصة مكان الصدارة –إن لم يكن كل الحيز- للأحداث المتفرقة أو للأخبار الرياضية"[[27]](#endnote-28). وفي كثير من الأحيان تكون هذه الأحداث متناقضة وجد متباعدة ومتنافرة لا يستطيع العقل الربط بينها ولا تحليلها ولا فهمها, معتمدة في ذلك على مبدآ التجزيء والتقطيع الذي يضعف العقل ويشتته في نفس الوقت, ومن أمثلة البرامج التي تعمل على تشتيت العقل نجد برامج الحوار أو الرأي والرأي الآخر, التي تعتمد على استعراض العديد من الآراء التي تكون في الغالب متعارضة ومتناقضة وتزيد من صعوبة الموازنة بينها, واستخراج الرأي الصائب من بين عشرات الآراء المتباينة.

**7-العقل الجائع (المجاعة المعلوماتية):**

تقوم هذه الإستراتيجية على "نقص المعلومات disinformation, وهي تقوم على التجهيل, وعدم إمداد الناس بالمعلومات اللازمة لاتخاذ قرارات صحيحة"[[28]](#endnote-29).أيأن المجاعة المعلوماتية تتمثل في نقص المعلومات الصحيحة والحقيقية والمفيدة التي يحتاجها الفرد لبناء قراراته, اما كثرة المعلومات غير المفيدة, والتي لا معنى لها, ولا يتمكن من خلالها الفرد من اتخاذ موقف واضح وسليم, فهي معلومات كغثاء السيل.

**8-العقل المدمن:**

قال الدكتور **سميرمالهوترا**, مدير الصحة العقلية والعلوم السلوكية أنإدمان فيس بوك يشبه إدمان الكوكايين, لان هناك بعض المواد الكيميائية العصبية كالدوبامين التي تعمل عبر مسارات الكفاءة في الدماغ وهي المسئولة عن الحفاظ على سلوك الشخص من الإدمان, لان مستقبلات الدوبامين مرتبطة بالعديد من العمليات العصبية كالاستمتاع والإدراك, فإذا كانت مستقبلات الدوبامين غير طبيعية ينتج عنها الإدمانوحدوث اضطراب عصبي ونفسي للشخص, وأضاف**مالهوترا**أنأعراضإدمان فيس بوك تشبه أعراضإدمان المواد المخدرة, حيث يحدث خلل في نظام اللوزة العصبية ما يجعل هذا الإدمان مماثلا لعديد من أنواعالإدمان المختلفة"[[29]](#endnote-30). بالإضافة إلى إدمان مشاهدة التلفزيون والانترنت, حيث أصبح البعض منا لا يستطيع العيش دونهما.

**9-العقل الافتراضي:**

أظهرت دراسة عربية أنإدمان الشباب على الاستخدام المفرط للشبكات أدىإلى فقدان المهارات المطلوبة لإقامة علاقة اجتماعية في البيئة الاجتماعية الواقعية, وتراجع الاتصال الشخصي في مقابل التواصل عبر الشبكات"[[30]](#endnote-31), وهذا ما يهدد الكثير من القيم الاجتماعية والدينية كالتعاون وإقامة العلاقات الاجتماعية, وصلة الرحم, والقدرة على التفاعل مع الآخرين مساعدتهم, حيث يتم تحويل العقل الواقعي إلى عقل افتراضي يتكيف فقط في العالم الافتراضي, ويقف عاجزا عن مختلف القضايا الحقيقية التي تطرح في الواقع الحقيقي.

وهذا ما تؤكده "نتائج دراسة شركة (Digital Surgeons) التي أجريت سنة 2010, التي أثبتت وجود ما يسمى: (الضمير الافتراضي), الذي تكون نتيجة استخدام الشبكات الاجتماعية"[[31]](#endnote-32).

إن العقل الافتراضي أو الرقمي على حد تعبير **بورلين** هو "ناشط عقليا ولكنه جاهل ثقافيا, أو أن هذا العقل على دراية واسعة وعالية بنفسه وبالآخرين من ناحية الاقتراب الرقمي الفوري, ولكنه نافذ الصبر وجاهل بالعالم على اتساعه بشكل يثير الدهشة"[[32]](#endnote-33). وبما أن العقل الافتراضي جاهل ثقافيا فان هذا يجعل المنظومة القيمية للمجتمع على المحك, خاصة إذا علمنا أن الثقافة تعتبر مرسخ من مرسخات المنظومة القيمية.

**10-العقل السلبي:**

إن السلبية هي العمود الفقري للوسائل الإعلامية، ويعتبر التلفزيون "الوسيلة الأحدث والأبعد تأثيرا في مجال إشاعة السلبية... والأمر لا يقتصر على (التهميد) البدني الواسع النطاق لعدد لا حصر له من ملايين الأجساد. فتحجيم النشاط العقلي, والذي يمثل المحصلة النهائية للعدد اللانهائي من ساعات الإرسال المملوءة ببرامج مبلدة للعقول, يفوق أي حساب أو تقدير, كذلك لا يمكن حصر أو قياس التأثير التسكيني الذي يتعرض له الوعي النقدي"[[33]](#endnote-34).

كما أن التركيز على الأحداث المتفرقة يعمل على إشاعة السلبية لأنها "يمكن أن تعبأ وتشحن بتورطات ومضامين سياسية وأخلاقية قادرة على إثارة مشاعر قوية غالبا سلبية"[[34]](#endnote-35).

إن العقل السلبي يجعل صاحبه يفكر بطريقة سلبية (إشارة سالبة), وبالتالي لن يحقق أي تقدم نحو الأعلى حتى وان كانت جميع ظروفه مواتية وايجابية (إشارة موجبة) فيحدث بينهما تجاذب فينزع دائما نحو الأسفل, اما إذا غير من طريقة تفكيره نحو الايجابي (إشارة موجبة) وبمساعدة ظروفه المواتية (إشارة موجبة) فانه يحدث بينه وبين ظروفه تنافر (إشارتين موجبتين) وبالتالي يقفز إلىأعلى سلم النجاح والرقي, مع العلم أن الجاذبية الظرفية تشبه الجاذبيةالأرضيةفهي تجذب الفرد دائما نحو الأسفل.

كما أن الشخص الذي يحمل عقلا سلبيا ينفر منه الجميع, فهو لا يتوافق مع الشخص الايجابي بسبب اختلاف طريقة التفكير, كما انه لا يتفق حتى مع الشخص السلبي مثله, وهذا بدليل الفيزياء, فكما هو معروف انه يحدث تنافر بين إشارتين سالبتين, فكذلك العقول السلبية تنفر من بعضها البعض, مساهمة بذلك في عزل أصحابها وزيادة آلامهم ومعاناتهم, وهذا ما ينعكس سلبا على القيم الاجتماعية من تفاعل وتعاون وعلاقات وغيرها من القيم.

**خاتمة**

بناء على ما سبق ذكره, تتبين أهمية العقل البشري الذي أكرمنا به **الله** عز وجل, وميزنا به عن سائر المخلوقات الأخرى, ومن عجائبه انه يتكون من أكثر من مئة مليار خلية عصبية مسئولة عن التفكير, ترتبط مع بعضها البعض وفق نظام شبكي لتسهيل نقل المعلومات والتفاعلات والعمليات الذهنية, لتشكل نظاما شبكيا يتكون من مليارات المليارات من الروابط, تفوق في تطورها وهندستها وسرعتها مختلف الشبكات الإعلامية والاتصالية بملايين الأضعاف, فعلىالإنسان العاقل أن يستغل هذه النعمة ولا يتركها عرضة للاستغلال والتخريب.

ولما كان العقل بهذه الأهمية جذب اهتمام الدارسين, وحرك رغبة المسيطرين للتحكم فيه وتوجيهه, فاعتمدوا عديد الآليات, وكثير الاستراتيجيات, لتضليل العقل البشري, وإضعاف قدرته على التفكير البناء, وضرب ملكته في الإبداعوالإنتاج, وصرف اهتمامه بالقضايا التي تفيد الأمةإلى سفاسف الأمور وتفاهة الأشياء, ولم يكتفوا بهذا فحسب, بل عملوا على أن يصاب بالكثير من الأمراض والعلل من الإدمان الالكترونيوالمخدرات الالكترونية التي تهاجم الخلايا العصبية بنفس الطريقة التي تهاجمها المخدرات الطبيعية.

من هذا المنبر ندعو الجميع وخاصة الشبابإلى الاستعمال العقلاني للتكنولوجيا بصفة عامة, ولوسائل الإعلام بصفة خاصة, حتى لا نكون فريسة سهلة في أيديأعدائنا الذين يسعون لتدمير عقولنا وتعطيلها بشتى الطرق,حتى يتسنى لهم قيادتنا كما يقاد القطيع من الغنم.

**الهوامش**

1. - أبو هلال العسكري: **الفروق في اللغة**, منشورات دار الآفاق الجديدة, د.ط, بيروت, 1980, ص: 76. [↑](#endnote-ref-2)
2. - جيل جاستون جارانجي: ا**لعقل**, ترجمة: محمود بن جماعة, سلسلة أضواء, دار محمد علي للنشر, ط1, تونس, 2004, ص: 16. [↑](#endnote-ref-3)
3. - رضوان و كيفن**: صراع القيم بين الإسلام والغرب**، دار الفكر، د.ط، 2010، ص: 23. [↑](#endnote-ref-4)
4. -محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، دار الفكر،ط1، عمان، 2007، ص: 254. [↑](#endnote-ref-5)
5. - Raymond Boudon et F. Bouricaud : **Dictionnaire de Sociologie**, Larousse, France, 2005, P : 234. [↑](#endnote-ref-6)
6. -محمد زكريا: **القنوات الفضائية والقيم الاجتماعية**، مركز الإسكندرية للكتاب،د.ط، الإسكندرية، 2002، ص: 128. [↑](#endnote-ref-7)
7. - محمد عابد الجابري**: العقل الأخلاقي العربي –دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية**, سلسلة نقد العقل العربي (4), مركز دراسات الوحدة العربية, ط7, 2016, ص: 104. [↑](#endnote-ref-8)
8. - **المرجع نفسه**, ص: 110. [↑](#endnote-ref-9)
9. - **المرجع نفسه**, ص: 111. [↑](#endnote-ref-10)
10. - محمد عابد الجابري, **مرجع سابق**, ص: 106 . [↑](#endnote-ref-11)
11. - معصومة المطيري: **اثر الإعلام العربي على نشاة الطفل وعلاقته بالأسرة**، بحث مقدم إلى: مؤتمر الأسرة والإعلام العربي: نحو ادوار جديدة للإعلامالأسري، 2-3 ماي 2010، ص: 5. [↑](#endnote-ref-12)
12. - عبد الله محمد الغذامي: **الثقافة التلقزيونية: سقوط النخبة وبروز الشعبي**، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، 2005، ص: 116. [↑](#endnote-ref-13)
13. -**المرجع نفسه**، ص: 117. [↑](#endnote-ref-14)
14. - هربرت شيلر: **المتلاعبونبالعقول**, ترجمة: عبد السلام رضوان, عالم المعرفة, الكويت, 1999, ص: 182. [↑](#endnote-ref-15)
15. - **المرجع نفسه**, ص: 25. [↑](#endnote-ref-16)
16. - بيير بورديو: **التلفزيون واليات التلاعب بالعقول**, ترجمة وتقديم: دوويش الحلوجي, دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية, ط1, دمشق, 2004,ص: 103. [↑](#endnote-ref-17)
17. - **المرجع نفسه,** ص: 104. [↑](#endnote-ref-18)
18. - أبو عبد الله بن قيم الجوزية: **الداء والدواء**,دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع, د.ت, ص: 147-148. [↑](#endnote-ref-19)
19. - فهد بن علي الطيار: شبكات التواصل الاجتماعي وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة (تويتر نموذجا) –دراسة تطبيقية على طلاب جامعة الملك سعود, **المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب**, المجلد: 31, العدد: 61, الرياض, 2014, ص: 218. [↑](#endnote-ref-20)
20. - سليمان صالح, **مرجعسابق**, ص: 338. [↑](#endnote-ref-21)
21. - هربرت شيلر,**مرجعسابق**, ص: 96. [↑](#endnote-ref-22)
22. - **نفس المكان**. [↑](#endnote-ref-23)
23. - سليمان صالح: **ثورة** ا**لاتصال وحرية الإعلام**, مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع, ط1, بيروت, 2007, ص: 336. [↑](#endnote-ref-24)
24. - ريتشارد واطسون: **عقول المستقبل (كيف يغير العصر الرقمي عقولنا, ولماذا نكترث, وما الذي في وسعنا فعله)**, ترجمة: عبد الحميد محمد دابوه, مراجعة: أيمن عامر, المركز القومي للترجمة, ط1, القاهرة, 2016, ص: 190. [↑](#endnote-ref-25)
25. - هربرت شيلر, **مرجع سابق**, ص: 208. [↑](#endnote-ref-26)
26. -**المرجع نفسه**, ص: 33-34. [↑](#endnote-ref-27)
27. - بيير بورديو: **مرجع سابق**, ص: 103. [↑](#endnote-ref-28)
28. - سليمان صالح, مرجع سابق, ص: 337. [↑](#endnote-ref-29)
29. - آلاء الفقي: احترس.. تأثير إدمان الفيس بوك على المخ يشبه الكوكايين:

    http://m.youm7.com/story/2016/2/24/. html. (05.03.2017). [↑](#endnote-ref-30)
30. - محمد بن علي بن محمد السويد: **استخدامات الشباب السعودي لموقع التواصل الاجتماعي (تويتر) وتأثيرها على درجة علاقتهم بوسائل الإعلام التقليدية –دراسة ميدانية على عينة من طلاب الجامعات الحكومية والخاصة في مدينة الرياض**, بحث مقدم إلى: مؤتمر وسائل التواصل الاجتماعية.. التطبيقات والإشكالات المهنية, كلية الإعلام والاتصال, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, 10-11 مارس 2015, الرياض, ص: 25. [↑](#endnote-ref-31)
31. - فهد بن علي الطيار, **مرجع سابق**, ص: 219. [↑](#endnote-ref-32)
32. -**المرجع نفسه**, ص: 39. [↑](#endnote-ref-33)
33. - هربرت شيلر, **مرجع سابق**, صَ: 37. [↑](#endnote-ref-34)
34. - بيير بورديو, **مرجع سابق**, ص: 53. [↑](#endnote-ref-35)